

التحرير والتنوير

كان مقتضى الظاهر من التنظير أن يقدم قوله (وأنه هو أغنى وأقنى) على قوله (وأن عليه النشأة الأخرى) لما في قوله (وأنه هو أغنى وأقنى) من الامتنان وإظهار الاقتدار المناسبين لقوله (وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحى وأنه خلق الزوجين) الخ . إذ ينتقل من نعمة الخلق إلى نعمة الرزق كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم (الذي خلقتني فهو يهدين وهو والذي يطعمني ويسقين وقوله تعالى (اﷲ الذي خلقكم ثم رزقكم) ولكن عدل عن ذلك على طريقة تشبه الاعتراض ليقرن بين البيانين ذكر قدرته على النشأتين .

ومما يشابه هذا ما قاله الواحدي في شرح قول المتنبي في سيف الدولة : .
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم .
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاء وثغرك باسم أنه لما أنشد هذين البيتين أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال : ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله : .
كأني لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال .

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخلي لي كري كرة بعد إجمال E A ووجه الكلام في البيتين على ما قاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز الأول على الثاني والثاني على الأول " أي مع نقله كلمة " للذة " من صدر الأول إلى الثاني، وكلمة " ولم أقل " من صدر الثاني إلى الأول ليستقيم الكلام " فيكون ركوب الخيل مع المر للخليل بالكر وسبأ الخمر مع تبطن الكاعب فقال أبو الطيب " أطال اﷲ عز مولانا إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيله ، وإنما قرن امرؤ القيس للذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر الأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وإنما لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاء ، لأجمع بين الضدين في المعنى " اه .

ولو أن أبا الطيب شعر بهذه الآية لذكرها لسيف الدولة فكانت له أقوى حجة من تأويله شعر امرئ القيس .

وجملة (وأن عليه النشأة) تحقيق لفعله إياها شيها بالحق الواجب على المحقوق به بحيث لا يتخلف فكأنه حق واجب لأن اﷲ وعد بحصول بما اقتضته الحكمة الإلهية لظهور أن اﷲ لا يكرهه

شيء , فالمعنى : أن اـ أراد النشأة الأخرى كقوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة) .

والنشأة : المرة من الإنشاء , أي الإيجاد والخلق .

والأخرى : مؤنث الأخير, أي النشأة التي لا نشأة بعدها , وهي مقابل النشأة الأولى التي يتضمنها قوله تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . وهذه المقابلة هي مناسبة ذكر هذه النشأة الأخرى .

وقرأ الجمهور (النشأة) بوزن الفعلة وهو اسم مصدر أنشأ , وليس مصدرا , إذ ليس نشأ المجرد بمعتد وإنما يقال : أنشأ .

وقراها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (النشاء) بألف بعد الشين المفتوحة بوزن الفعالة وهو من أوزان المصادر لكنه مقيس في مصدر الفعل المضموم العين في الماضي نحو الجزالة والفصاحة . ولذلك فالنشاء بالمد مصدر سماعي مثل الكآبة . ولعل مدتها من قبيل الإشباع مثل قول عنتره : .

" ينباع من ذفرى غصوب جصرة أي نبع .

وتقديم الخبر على اسم (أن) للاهتمام بالتحقيق الذي أفادته (على) تنبيها على زيادة تحقيقه بعد أن حقق بما في (أن) من التوكيد .

(وأنه هو أغنى وأقنى [48]) ومعنى (أغنى) جعل غنيا , أي أعطى ما به الغنى , والغنى التمكن من الانتفاع بما يحب الانتفاع به .

ويظهر أن معنى (أقنى) ضد معنى (أغنى) رعا لنظائره التي زاوجت بين الضدين من قوله (أضحك وأبكى) و (أمات وأحيا) , و (الذكر والأنثى) , ولذلك فسر ابن زيد والأخفش وسليمان التميمي بمعنى أَرْضَى